



وقف خالد ناجي، اللاجيء السوري ابن الـ13، أمام فصله الدراسي ممسكاً بقلم أحمر لينقل بصعوبة إلى السبورة البيضاء بعض العبارات الإنجليزية كتبها في كراسه.

ويهدف برنامج خيري في هذه المنطقة الريفية من وسط لبنان، إلى إعداد اللاجئين السوريين الصغار للالتحاق بالمدارس العامة، التي يعتمد التعليم فيها على اللغة الإنجليزية أو الفرنسية وهو ما يمثل تحدياً كبيراً بالنسبة للسوريين الذين تلقوا تعليمهم باللغة العربية.

جلس خالد مزهوها بنفسه وهو يقول إن اللغة الإنجليزية لغة سهلة، لكن والدته، منال ناجي، قالت إن ابنها رسب عاماً دراسياً العام الماضي في المدرسة العامة اللبنانيّة التي يدرس بها، وأرجعت السبب في ذلك إلى أنه: «لا يفهم ما يقوله المعلم، ولا يزال غير قادر على الاستيعاب. أنا قلقة، فقد كان متفوقاً في دمشق».

غير أن ابنها محظوظ بالالتحاق بالمدرسة. فلم يتمكن سوى 70 في المائة من الأطفال السوريين الذين يقدر عددهم بنحو 865.000 طفل، من بين 2.3 مليون لاجئ، من الالتحاق بالدراسة، بحسب إحصاءات اليونيسيف.

لكن الرقم الحقيقي أعلى بكل تأكيد، فلا يزال مئات الآلاف من اللاجئين يتذمرون تسجيлемهم من قبل الأمم المتحدة، وخصوصاً في لبنان وتركيا والأردن. ولا يتوقع أن يتلقى الأطفال الذين يشكلون ثلث أعداد هؤلاء اللاجئين أي نوع من التعليم، فلم يتمكن الكثير منهم من الالتحاق بنظام تعليمي يجاهد للتعامل مع طوفان اللاجئين السوريين.

كثير من الأطفال الذين التحقوا بالمدارس اللبنانيّة، لا ينتظمون في صفوفهم الدراسية إما بسبب التكلفة أو المخاوف بشأن سلامتهم. آخرون، ممن تخلفوا بالفعل عاماً أو عامين دراسيين بسبب الصراع في سوريا، فأصبحوا غير قادرين على التأقلم

مع البيئة والمناهج الجديدة، واللغة الجديدة، في حالة لبنان. فيما يعمل آخرون لمساعدة والديهم الذين أوشكت مدخراتهم على النفاذ.

ويتلقى بعض الأطفال دروسا خاصة خارج المدرسة، لكن الكثيرين يقضون معظم أيامهم في القيام بأعمال بسيطة في المخيمات أو في المجتمعات التي تستضيف اللاجئين السوريين في لبنان والأردن وتركيا والعراق ومصر. ومع اقتراب الحرب السورية من نهاية عامها الثالث، يحذر الخبراء من ظهور جيل ضائع للأطفال السوريين قد يشكل أحد أخطر عواقب الحرب السورية.

وتقول ماريا كالفيس، المدير الإقليمي لليونيسيف التي تشرف على تعامل المنظمة مع الأزمة: «ما لم يتم التعامل مع المشكلة، سيفقد الأطفال الأمل، وخصوصاً المراهقون منهم، الذين سيحاولون تكرار هذا العنف وإطالة أمده، وسيفقدون المهارات والمعرفة اللازمة لإعادة بناء سوريا».

قبل الحرب، كان نسبـة التحـاق الأطـفال بالـتعلـيم في سـوريـا تـقـرـب مـن 80 فـي المـائـة، وـهـو رـقم مـرـتفـع نـسـبيـاً بـالـنـسـبة لـمـنـطـقـة الشـرقـ الـأـوـسـطـ.

وأشارت كالفيـس إـلـى أـنـ الـحـكـومـةـ السـورـيـةـ جـعـلـتـ مـنـ زـيـادـةـ مـعـدـلـاتـ التـحـاقـ التـلـامـيـذـ، خـصـوصـاـ الـفـتـيـاتـ، بـالـمـدارـسـ وـبـنـاءـ مـدارـسـ جـديـدةـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـفـقـيرـةـ أـولـوـيـةـ بـالـنـسـبةـ لـهـاـ خـلـالـ الـعـقـدـ الـمـاضـيـ.

وتـسـبـبـ الـصـرـاعـ فـيـ تـخـلـفـ 1.9ـ مـلـيـونـ طـالـبـ مـنـ الـمـدارـسـ أـوـ نـحـوـ 40ـ فـيـ المـائـةـ مـنـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ الـحـالـيـينـ فـيـ عـمـرـ الـدـرـاسـةـ، بـحـسـبـ الـليـونـيـسيـفـ.

مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ، تـئـنـ مـدارـسـ الـمـنـطـقـةـ الـمـكـتـظـةـ بـالـغـفـلـ تـحـتـ وـطـأـةـ أـعـدـادـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ الـذـيـنـ يـضـاعـفـونـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ مـنـ أـعـدـادـ طـالـبـ الـمـدارـسـ، الـذـيـنـ يـتـدـافـعـونـ لـبـدـءـ فـتـرـةـ مـاـ بـعـدـ الـظـهـيرـةـ، وـالـبـحـثـ عـنـ فـصـولـ دـرـاسـةـ إـضـافـيـةـ وـاستـقـدامـ مـدـرـسـيـنـ جـدـدـ بـيـنـ السـكـانـ أـوـ الـلـاجـئـيـنـ السـورـيـينـ.

وـفـيـ وـقـتـ بـدـاـيـةـ الـعـامـ الـقـادـمـ، يـأـمـلـ مـسـؤـلوـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ فـيـ التـوـصـلـ إـلـىـ اـتـفـاقـ مـعـ حـكـومـاتـ الـمـنـطـقـةـ لـتـوـثـيقـ شـهـادـاتـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ.

وـفـيـ لـبـانـ، الـذـيـ اـسـتـقـبـلـ مـلـيـونـ لـاجـئـ سـورـيـ، أـيـ مـاـ يـواـزـيـ رـبـعـ سـكـانـهـاـ، لـمـ يـتـمـكـنـ سـوـىـ 13ـ فـيـ المـائـةـ فـقـطـ مـنـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ، أـوـ نـحـوـ 53.000ـ مـنـ الـالـتـحـاقـ بـالـمـدارـسـ الـعـامـةـ، وـهـوـ الرـقـمـ الـأـدـنـىـ بـيـنـ الـدـوـلـ الـتـيـ تـسـتـقـبـلـ لـاجـئـيـنـ سـورـيـينـ، بـحـسـبـ الـليـونـيـسيـفـ.

وـيـذـكـرـ أـنـ نـحـوـ 70ـ فـيـ المـائـةـ مـنـ الـأـطـفالـ الـلـبـانـيـينـ يـدـرـسـونـ فـيـ الـمـدارـسـ الـخـاصـةـ فـيـ لـبـانـ، وـهـذاـ إـرـثـ الـحـربـ الـأـهـلـيـةـ الـتـيـ اـسـتـمـرـتـ لـنـحـوـ 15ـ عـامـ، تـارـكاـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـدارـسـ الـعـامـةـ الـتـيـ تـعـانـيـ مـنـ سـوءـ التـموـيلـ. وـتـفـوقـ أـعـدـادـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ فـيـ عـمـرـ الـمـدـرـسـةـ فـيـ لـبـانـ، 400.000ـ طـلـبـ، أـعـدـادـ الـأـطـفالـ الـلـبـانـيـينـ فـيـ الـمـدارـسـ الـعـامـةـ وـالـذـيـنـ تـقـدـرـ أـعـدـادـهـمـ بـنـحـوـ 300.000ـ طـالـبـ.

كـمـ تـضـطـرـ الـمـدارـسـ الـلـبـانـيـةـ، الـتـيـ تـفـقـرـ إـلـىـ التـجهـيزـ لـلـتـعـاـلـمـ مـعـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ وـاحـتـيـاجـاتـهـمـ الـخـاصـةـ، لـلـعـمـلـ فـتـراتـ بـعـدـ الـظـهـيرـةـ فـيـ تـعـلـيمـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ، وـهـوـ مـاـ يـجـريـ تـنـفـيـذـهـ فـيـ الـوقـتـ الـراـهـنـ فـيـ الـأـرـدـنـ وـتـرـكـياـ.

وـفـيـ الـمـدـرـسـةـ الـابـتدـائـيـةـ فـيـ دـيـدـهـ، قـرـيـةـ صـغـيرـةـ شـمـالـ لـبـانـ، يـشـكـلـ الـطـلـابـ السـورـيـونـ 59ـ طـالـباـ مـنـ بـيـنـ طـلـابـ الـمـدـرـسـةـ الـبـالـغـ عـدـدهـمـ 549ـ طـالـبـ، وـيـجـريـ تـدـرـيسـ الـتـارـيخـ وـالـجـغرـافـيـاـ بـالـلـغـةـ الـإـنـجـليـزـيـةـ فـيـمـاـ تـسـتـخـدـمـ الـلـغـةـ الـفـرـنـسـيـةـ لـتـدـرـيسـ الـلـغـاتـ الـأـخـرـىـ.

وـتـقـولـ إـلـهـامـ غـالـيـانـيـ، مـسـاعـدـةـ مـدـيرـ الـمـدـرـسـةـ: «الـأـطـفالـ السـورـيـونـ لـاـ يـفـهـمـونـ الـلـغـةـ الـفـرـنـسـيـةـ مـطـلـقاـ، الـأـمـرـ غـيرـ مـجـدـ عـلـىـ الـإـلـاـقـ، الـأـطـفالـ فـيـ رـيـاضـ الـأـطـفالـ هـمـ الـذـيـنـ يـتـمـكـنـونـ فـقـطـ مـنـ الـتـعـلـمـ».

وـفـيـ طـرـابـلـسـ، يـحـاـولـ الـمـعـلـمـونـ الـذـيـنـ يـعـمـلـونـ مـعـ مـنـظـمـةـ «ـأـنـقـذـواـ الـأـطـفالـ»ـ إـعـدـادـ الـأـطـفالـ السـورـيـينـ لـلـحـاقـ بـالـمـدارـسـ الـعـامـةـ.

في درب أحد المعلمين فصلا من 10 إلى 12 طالبا على المصطلحات الأساسية باللغة الفرنسية. وعندهما سأل المعلم الطلبة بالفرنسية عن المضاعف المشترك لعددين، رد الطلبة بطلاقه، لكن المعلم عندما سأله سؤالا آخر لا علاقة له بالمادة لم يحرك الطلاق ساكنا.

ويواجه الكثير من الأطفال السوريين عقبات أخرى غير اللغة، للالتحاق بالمدارس العامة، بحسب هاني جسري، المسؤول في «مؤسسة جسور»، منظمة دعم خاصة أسسها مغتربون سوريون، ففي بيروت تقدم «مؤسسة جسور» دروس اللغة الإنجليزية للأطفال السوريين بهدف تأهيلهم للالتحاق بالمدارس اللبنانية.

وكمثال الكثير من الأطفال السوريين، خسرت نور، ابنة الـ11 التي التحقت بمدرسة جسور قبل يوم، عاملا من الدراسة. ورغم انتقالها إلى الصف الثالث الابتدائي في سوريا فإنها لم تعد قادرة على تذكر شكل الحروف ولم تتمكن من كتابة اسمها. ويقول محمد ابن الـ10 إنه «بعد حضوره الدروس في جسور، يذهب إلى بناء بعيدة حيث تسكن عائلته ويرتاح لساعة ثم ينزل لبيع الورود في شارع الحمرا، الشارع التجاري الرئيس في بيروت، حتى الساعة الواحدة صباحا».

وقال: «عندما أصل إلى منزلي، أخلد إلى النوم على الفور، ثم أستيقظ في السابعة صباحا لحضور الصف الدراسي». على التقىض من ذلك يأتي مركز الشام، مدرسة خاصة في غازي عنتاب بتركيا. إذ تستقبل المدرسة أبناء السكان السوريين الأثرياء وتتقاضى منهم نحو 1.000 دولار شهريا.

وتشغل المدرسة عدة أدوار في بناء إدارية، وتساعد المدرسة في تأهيل الطلاب لاجتياز اختبارات اللغة الإنجليزية أو امتحان التوظيف.

الشرق الأوسط

المصادر: